



دور معاهد العلم في بيت المقدس في تدريس ونشر علوم الحديث خلال العهد العثماني

أ.م.و. أحمد حسين عبد الجبوري

جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ
- محافظة صلاح الدين / العراق.

المقدِّمة:

عني المسلمون عنايةً كبيرةً بالحديث النبوي، فهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ومن مظاهر هذه العناية إنشاء دُورٍ خاصّة به تُعرف بدُور الحديث، ومن هذه الدُور في بيت المقدس دارُ الحديث الهكاريّة، وهي من بناء الأمير شرف الدين بن عيسى بن محمد الهكاري سنة (666هـ / 1267م)، فقد كان مهتمًّا بالحديث وعلومه.

تتناول هذه الدراسة دور العلم في بيت المقدس، ودورها في تدريس علوم الحديث، خلال العهد العثماني، وكيف عملت السلطات العثمانية المحليّة، من خلال اهتمامها بالجانب العلمي والفكري في بيت المقدس، وإعادة إعمار عديد من هذه المعاهد، والمدارس، والزوايا، والتكايا، والدور، وغيرها من مؤسّسات علمية ودينية، ورثتها عن

الدولة المملوكية، فاهتمت بها، وأوقف عليها أهل الخير كثيرًا من الأوقاف التي كانت سببًا في ديمومة عديد منها.

اهتمت جميع المعاهد العلمية في بيت المقدس، بتدريس علوم الحديث، وخصّصت أوقات معينة في عديد من الدروس التي تُقدّم في المساجد، والمدارس، والزوايا، لتدريسها، حيث كانت تأتي كدرسٍ ثانٍ بعد دروس علوم القرآن الكريم. لذلك لم تقتصر في دراستنا على جانب معيّن، إنّما تطرّقنا إلى جميع المعاهد التي كانت تُدرّس علوم الحديث، خاصّةً التي اهتمت به اهتمامًا خاصًا. واعتمدت الدراسة على مصادرٍ متنوّعةٍ يأتي في مقدّماتها سجلّات محكمة القدس الشرعية، ومصادر أخرى أغنت الدراسة بمعلوماتٍ مهمّة، ومفيدة.

المساجد

أسهمت المساجد إلى جانب كونها دُورًا للعبادة، في نشر العلوم الدينية، وقد تمثّل الدُور التعليمي لها في مدينة القدس الشريف، فيما كان يقوم به الحرّم القدسيّ (المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة)، بما فيه من أئمّة، وخطباء، ومُدّرّسين، من تدريس للعلوم الدينية، اشتملت على القرآن الكريم وتفسيره، وعلوم الحديث الشريف، والفقه.

قام الشيخ طه بن صالح الملقّب بأبي الرضا الديريّ (الخالديّ)، بتدريس علم الحديث، وشرح صحيح البخاريّ لمُدّة سبع سنوات في مسجد قبة الصخرة، حتّى وفاته عام 1071هـ / 1660م⁽¹⁾، كما تولّى تدريس علم الأسانيد، وشرح الحديث في القرن 12هـ / 18م، الشيخ محمد بن محمد بن شرف الدين الخليليّ في حجرته في صحن مسجد قبة الصخرة وفي المسجد الأقصى، إلى أن توفّي عام 1147هـ / 1734م⁽²⁾، وكان الخليليّ في

(1) كامل جميل العسليّ، أجدادنا في ثرى بيت المقدس (عمان، 1981)، ص 175.

(2) سجلّات محكمة القدس الشرعية، نسخة محفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية، سجلّ 207، حجة



نظر معاصريه من علماء الحديث أحد علماء القدس الأعلام، ويعزّز هذه المكانة العلمية والاجتماعية المرموقة، ما تورده سجلات محكمة القدس الشرعية من ألقاب علمية واجتماعية رفيعة بحقّه، ومنها ((عمدة المُحدّثين والفقهاء العظام محمد أفندي الخليلي، مفخر العلماء الفخام والمدرّسين العظام))⁽¹⁾. وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على مكانة العلماء المتخصّصين بتدريس علم الحديث، وفروعه، والاهتمام به؛ كونه الباب الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم.

كذلك كان السيّد محمد بن مصطفى نقيب أشرف القدس، وشيخ الحرم القدسيّ، من قرّاء الحديث الشريف في المسجد الأقصى، وتدريس علومه أثناء تواجده فيه لأكثر من خمسة أعوام⁽²⁾.

دور الحديث

دار الحديث الهكارية (666هـ/1267م)

يُعَدُّ الحديث النبويّ الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع عند المسلمين بعد القرآن الكريم، لذلك فقد أولاه المسلمون عناية كبيرة، ومن أوجه هذه العناية إنشاء دورٍ خاصّة تُعنى بتدريس علوم الحديث، عرفت هذه الدُّور بدُّور الحديث، ومن أبرزها دار الحديث المعروفة بالهكارية؛ نسبة إلى من قام ببنائها، الأمير شرف الدين بن عيسى الهكاريّ، والذي كان من المهتمّين بالحديث الشريف وعلومه، وتقع غربيّ الحرم برأس درج العين في باب

رقم 3، بتاريخ 1124هـ / 1712م، ص 307 - 308، سنشير إليها لاحقاً بـ(س، ح)؛ س، ح 1، 1147هـ / 1735م، ص 145.

(1) س 207، ح 3، 1123هـ / 1711م، ص 146؛ س 210، ح 1، 1128هـ / 1716م، ص 138؛ س 221، ح 1، 1140هـ / 1728م، ص 556.

(2) س 199، ح 1، 1112هـ / 1700م، ص 401؛ س 202، ح 1، 1115هـ / 1704م، ص 128؛ س 203، ح 1، 1117هـ / 1705م، ص 111 - 112؛ س 203، ح 3، 1117هـ / 1705م، ص 124.

السلسلة، بجوار التربة الجالقية من جهة الغرب، وذلك عام (666هـ/1267م)⁽¹⁾، بهدف الاستمرار بعمارة الدار، وترميمها ودفع أجور الموظّفين فيها، فقد أوقف الأمير شرف الدين بن عيسى بن حسين الهكاري، أوقافاً عديدة تقع جميعها في مدينة القدس الشريف، منها قرية البدو، قرية دير عمار، قرية لقتا، وقرية بيت إجمار، وقطعة أرض تعرف بالخارجة، وفرن وطاحونة بمحلة باب العمود، فضلاً عن جميع الدكاكين في الخطّ الشمالي بالقدس، كانت جميع وارداتها تُصرف على دار الحديث بالقدس الشريف، ففي عام 1152هـ/1713م قام الناظران على وقف دار الحديث الشيخان خليل، وفيض الله أبناء الشيخ صنع الله الخالدي، بإعمار غرفتين وترميمهما، من دار الحديث كانتا قد تهدمتا، وتأجير ساحتيهما لخدمة واردات الوقف⁽²⁾.

أشار الرحالة التركيّ أوليا جلبي إلى وجود سبعِ دُورٍ للحديث في مدينة القدس، إلاّ أنّه لم يشير إلى أسماء هذه الدور⁽³⁾، بينما أكّد الرّحالة الشيخ مصطفى أسعد اللقيميّ، موقع واسم دار الحديث الهكارية، والتي زارها فوجدها عامرة بالعلم وطلّبتة⁽⁴⁾، اهتمّت بتدريس الحديث النبويّ الشريف وعلومه، من رواية، معرفة أحكامه، رجاله، أسانيد، أقسامه، أصوله، شرحه، وغيرها، ودراسة كلّ ما له صلةً به من العلوم من القرآن الكريم

(1) أبو اليمن مجير الدين العلمي الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط2، (النجف، 1968)، ج2، ص 44 - 45؛ محمد كرد علي، خطط الشام، (دمشق، 1927)، ج6، ص 122.

(2) س 208، ح 4، 1125هـ/1713م، ص 45؛ محمد عيسى صالحية، سجلّ أراضي لواء القدس حسب الدفتر 342، تاريخه 970هـ/1562م، (عمان، 2002)، ص 123 - 124، 150؛ كامل جميل العسليّ، وثائق مقدسية تاريخية، (عمان، 1989)، م 3، ص 83.

(3) Evliya Tschelbis, Travels in Palestine, Tr. St. H. Stephan, quarterly of the department of antiquities in Palestine, (London, 1980), Vol. III, p. 156, Vol. XIII, p. 250.

(4) مصطفى أسعد اللقيميّ، لطائف أنس الجليل من تحائف القدس والخليل، تحقيق: خالد عبد الكريم، ط 1، (عكا، 2001)، ص 159؛ خيرية قاسمية (بيت المقدس وأكنان بيت المقدس وحدة لا تتجزأ) يوم القدس، الندوة العاشرة، ط 1، (عمان، 2000)، ص 60.



وتفسيره، والفقه واللغة العربية⁽¹⁾.

تولّى أبناء العوائل المقدسية، الإشراف على أوقاف السدار والوظائف المختلفة فيها، واستمرّت تؤدّي دورها الثقافي والفكري في بيت المقدس منذ تأسيسها، وحتى نهاية العهد العثمانيّ، فقد شغل وظيفة التولية على دار الحديث الشيخ عبد الله العجميّ، والتي ورثها عن أجداده، وذلك سنة 1116هـ/ 1704م، ثمّ عين فيها بعد وفاته الشيخ حسن بن محب الله، وتولّى نقيب أشرف القدس وشيخ الحرم القدسيّ الشيخ محمد بن مصطفى الوفاييّ الحسينيّ، وظائف النظر، والمشیخة على دار الحديث، والنظر والتولية على أوقافها، وذلك قبل سنة 1117هـ/ 1705م، وعمل في وظائف النظر على الدار، وأوقافها، وقراءة الأجزاء الشريفة فيها سنة 1125هـ/ 1713م، الشيخان خليل وفيض الله أبنا صنع الله الخالدي⁽²⁾.

تولّى أحد أبناء قاضي الصلط، إمام المسجد الأقصى، ومفتي الشافعية بالقدس الشيخ محمد صالح بن عبد الغنيّ الإمام، وظيفة مشيخة دار الحديث والتولية، والنظر على أوقافها حتى وفاته سنة 1126هـ/ 1714م.⁽³⁾ ثمّ ورثه أبناؤه أبو المواهب، وأبو الهدى، وصالح في وظائفه في دار الحديث، حتى سنة 1137هـ/ 1724م، كذلك أمر قاضي القدس بتعيين الشيخ خليل بن أحمد الدجانيّ، وولديه: محمد أبي الهدى، ومحمد أبي الصفا في تلك

(1) محمد حسين محاسنة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، ط1، (عمان، 2003)، ص213؛ محمد أحمد سليم البعقوب، ناحية القدس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ط1، (البنك الأهلي الأردنيّ، عمان، 1999)، ص342.

(2) س203، ح2، 1117هـ/ 1705م، ص130؛ س203، ح1، 1117هـ/ 1706م، ص127؛ وليد العريض، المؤسّسات العثمانية في القدس في الوثائق العثمانية، ندوة القدس (5000) عام من الحقوق العربية العثمانية، جامعة آل البيت (المفرق، 1997)، ص16.

(3) للتفاصيل عن هذه العائلة ينظر: حسن عبد اللطيف الحسيني، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، تحقيق: سلامة صالح النعيمات (عمان، 1985)، ص307 - 308؛ كامل جميل العسليّ، معاهد العلم في بيت المقدس (جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1983) ص150.

الوظائف⁽¹⁾، وفي سنة 1203هـ / 1788م شَغَلَ الشيخ حسن الإمام ثلاثة أرباع وظيفة المشيخة في الدار، أمّا وظيفة ناظر وقف الدار، فقد تولّاها الشيخ محمد بن عبد الواحد أبو الفضل العلمي، وذلك سنة 1204هـ / 1789م⁽²⁾، يتّضح لنا أنّ دار الحديث الهكارية استمرت في تأدية رسالتها الثقافية والعلمية في بيت المقدس، طيلة العهد العثماني، ويدلُّ على ذلك الوظائف التي تقلدها أبناء العوائل المقدسية الشريفة، والتي كان من أبرزها عائلة الإمام المقدسية التي حَظِيَتْ بالنصيب الأكبر من هذه الوظائف.

المدارس

1 - المدرسة الصلاحية الكبرى (588هـ/1192م)

تُعدُّ من أهمِّ مدارس القدس الإسلامية وأقدمها؛ حيث بُنِيَتْ في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي وإليه تُنسب، إذ استمرَّت لأكثر من ستّة قرون (أواخر القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي)، وتقع قرب باب الأسباط في الجهة الشمالية من الحرمِ القدسيّ، كانت في الأصل كنيسة للنصارى، تُعرف بصند حنه، وقَفَّها على الفقهاء من المذهب الشافعيّ في القدس الشريف⁽³⁾.

أنشأ السلطان صلاح الدين الأيوبي هذه المدرسة بعد تحريره لمدينة القدس الشريف من الصليبيين عام (583هـ/1187م)، إلّا أنّ النقش الذي يوجد على باب المدرسة يُفيد بأنّها أُنْشِئَتْ عام (588هـ/1192م)، ويبدو أنّ الاختلاف هو أنّ السلطان أسَّس هذه المدرسة

(1) س 207، ح 3، 1124هـ / 1712م، ص 295؛ س 220، ح 1، 1137هـ / 1724م، ص 77؛ العسلي، وثائق مقدسية...، م 2، ص 245 - 247، 272 - 273؛ زهير غنایم ومحمود الأشقر، الوثائق الوقفية والإدارية العائدة للحرم القدسي الشريف، سجلّات محكمة القدس الشرعية، ط 1، (عمان، 2006)، ج 1، ص 181.

(2) س 270، ح 2، 1204هـ / 1789م، ص 118؛ العسلي، وثائق مقدسية...، م 3، ص 83 - 84.

(3) شوقي شعث، «التراث المعماريّ في القدس بالعهد الأيوبيّ ووسائل صيانتها»، بحوث الندوة العلمية حول القدس وتراثها الثقافيّ في إطار الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، (الرباط، 1993)، ص 291.



في سنة (583هـ/ 1187م)، ولكن تاريخ وَقْفِهَا كان عام (588هـ/ 1192م)⁽¹⁾.

لم يختلف منهاج التعليم في المدرسة الصلاحية، خلال العهد العثماني، عمّا كان موجودًا في العهدين الأيوبي والمملوكي، بل كان امتدادًا للموضوعات التي درست في تلك الحقبة، والتي كانت متنوعة، منها الشرعية العامة، والشرعية الخاصة مع العلوم اللغوية، الرياضية، علم الكلام والمنطق، إذ اشتملت العلوم الدينية على علوم القرآن الكريم من التفسير، القراءات، والحديث النبوي الشريف وعلومه من الأصول، مصطلح الحديث، الفقه الشافعي والفرائض، كما ضُمَّت العلوم الرياضية، والتي حَوَتْ علوم الحساب، الجبر، المقابلة وعلوم الميقات، بينما اشتملت علوم اللغة العربية على النحو، المعاني، البيان والتبيين، الأدب، العروض والقافية⁽²⁾.

أصبحت وظيفة المشيخة في المدرسة الصلاحية تنتقل بالوراثة بين عائلة اللطفي، حيث تولى الشيخ علي بن حبيب الله بن محمد بن نور الله اللطفي، مشيخة المدرسة بعد ابن عمّه محمد جار الله اللطفي مع إفتاء الشافعية، حيث كان بارعًا في علم الحديث، وتوفي عام 1144هـ/ 1731م⁽³⁾، وورث محمد بن علي بن محمد بن جار الله اللطفي أباه الذي كان شيخًا للمدرسة الصلاحية، خلال الأعوام (1144 - 1168هـ/ 1731 - 1754م)، حيث إنّه دَرَسَ على يد الشيخ خالد المقدسي، ثم سافر إلى مصر، وأخذ العلم من علماء الأزهر، وعاد إلى القدس، وأصبح مُدرِّسًا في الصلاحية، وبعد وفاته ورثه ابنه محمد في التدريس

(1) الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص88؛ عبلة المهدي الزبدة، صلاح الدين وتحرير القدس، ط1، د. م، (1994)، ص167.

(2) زياد عبد العزيز المدني، مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215 - 1245هـ/ 180 - 1830م، ط1، (عمان، 1996)، ص269.

(3) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ط1، (بيروت، 1976)، ج1، ق2، ص126؛ العسلي، معاهد العلم....، ص94.

والشيخة في الصلاحية، منذ عام 1169هـ / 1755م، ثم تولى إفتاء القدس، ونقابة الأشراف فيها، وقام بتدريس الفقه وعلم الحديث بالمدرسة بالاشتراك مع إخوته مصطفى، أحمد، وعبد الله، وكانوا جميعاً من مشاهير علماء القدس وأفقههم⁽¹⁾.

إن نظرة فاحصة إلى العلماء الذين تَوَلَّوا مشيختها، والتدريس فيها تبيّن لنا دورها الكبير في الحياة الثقافية والفكرية في العهد العثماني، إذا أصبحت المدرسة الصلاحية ذات مكانة علمية كبيرة، وقام شيوخها ومدرسوها، ومعيدو الدروس فيها، بدورٍ مهمٍّ في تطويرها، وصارت في مقدّمة المعاهد العلمية في بيت المقدس في العهد العثماني، ويشار إليها بالبنان.

2 - المدرسة السّلامية الموصليّة الكبرى (831هـ / 1427م)

تقع في خطّ باب شرف الأنبياء، باتجاه المدرسة المعظّمية، وبجوار المسجد الأقصى من جهة الشمال، بناها وأوقفها في العهد المملوكي الخواجه مجد الدين عبد الملك بن أبي بكر السلامي الموصليّ عام 831هـ / 1427م، بناؤها عبارة عن مُجمّع من ثلاثة بيوت، وسطح، ومرافق، وإسطل، استُخدمت عُرفها لإقامة الطلبة والعاملين فيها⁽²⁾.

اقتصرت التعليم في المدرسة على تدريس القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، خصوصاً صحيح البخاريّ الذي كان يُدرّس في أشهر رجب، شعبان، ورمضان من كلّ عام، مدّة الدراسة فيها سنتان، وخصّصت لطلبتها ومقرئها رواتب شهرية؛ إذ بلغ عدد طلبتها ستّة طلبة، يتقاضى الواحد منهم سبعة دراهم ونصفاً في الشهر، أمّا شيخ القرائين فقد خصّصت له خمسة عشر درهماً شهرياً، ولشيخ الحديث عشرون درهماً، وكانت هذه

(1) عادل مناع، (النخبة المقدسية: علماء المدينة وأعيانها)، مجلّة حوليات مقدسية، ع (5)، (القدس، 2007)، ص 26.

(2) عارف باشا العارف، الفصل في تاريخ القدس، ط 1، (القدس، 1961)، ص 243؛ رائف يوسف نجم وآخرون، كنوز القدس، ط 1، (عمان، 1983)، ص 163.



المُخَصَّصات تُدفع إلى مستحقِّها من عائدات الأوقاف⁽¹⁾، التي وَقَّعَهَا الخواجة مجد الدين لخدمة المدرسة، وكانت هذه الأوقاف موزَّعة على قرية نعلين، وهي من قرى مدينة الرملة، وستَّة قراريط⁽²⁾ من أرض قرية البير، أربعة قراريط في قرية جبعا البُطيخ، ستَّة عَشْر قيراطاً في مزرعة بيت رافا، مزرعة عنان، قطعة أرض في حارة المغاربة، وبستان فواكه في أرض المدرسة الصلاحية، وهذه الأوقاف تقع جميعها في مدينة القدس الشريف⁽³⁾.

اسْتُغِلَّت عائدات الأوقاف في دفع أجور المُدرِّسين، وكذلك للإنفاق على عمليَّات الترميم التي أُجريت على المدرسة، سواء الترميم الذي قامت به السلطات العثمانية المحليَّة عام 941هـ/ 1534م، أو الترميم الذي قام به ناظر المدرسة ومُتولِّوها الشيخ أحمد جار الله اللطفي في عام 1182هـ/ 1768م، وحدث خصام وتنازُع في عام 1146هـ/ 1733م، حول وظيفة التولية والتدريس، والإشراف على أوقاف المدرسة الموصلية بين الشيخ علي بن محمد اللطفي، والشيخ عبد الغني خليل اللطفي، ولم يُحْلَل هذا النزاع إلا بعد فترة من الزمن، بعد أن تدخل عدد من العلماء والثقاة، وحلَّوا النزاع فيما بينهم، بحيث يكون نصف التدريس والتولية، والإشراف على المدرسة للشيخ عبد الغني اللطفي، والنصف الثاني للشيخ علي وأخيه الشيخ أحمد جار الله اللطفي⁽⁴⁾.

(1) محمد الإشرلي ومحمد داود التميمي، أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين في ألوية: القدس الشريف، صنف، نابلس، عجلون، حسب الدفتر رَقْم 522، من دفاتر التحرير العثمانية المدونة في القرن العاشر الهجري، (إستانبول، 1982)، ص 33؛ كامل جميل العسلي، «مؤسَّسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس»، ندوة مؤسَّسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي، (بغداد، 1983)، ص 105.

(2) القيراط: يُستخدم لتقسيم الكل إلى (24) جزءاً. وكان يشار به إلى الحِصَّة من الإرث أو الحِصَّة من الحيوان بالسهم. ينظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، (عمان، 1970)، ص 44، 98.

(3) ص 4، ح 3، 941هـ/ 1534م، ص 601؛ ص 6، ح 4، 943هـ/ 1536م.

(4) ص 4، ح 1، 941هـ/ 1534م، ص 616؛ ص 226، ح 4، 1146هـ/ 1733م، ص 180 - 187؛ ص 252، ح 1، 1182هـ/ 1768م؛ ص 252، ح 6، 1182هـ/ 1768م، ص 49.

كذلك عمل الشيخ جار الله محمد أبو الوفا بن جار الله اللطفي، في نصف وظائف المشيخة والتدريس، والتولية، والإشراف على أوقاف المدرسة السلامية عام 1175هـ/ 1761م، وكان يتقاضى راتباً قدره عشرة عثمانيات، ثم آلت هذه الوظائف إلى أخويه: عبد الحّي وفؤاد، وذلك بعد وفاته عام 1187هـ/ 1773م⁽¹⁾.

يتضح لنا مما تقدم أن المدرسة السلامية الموصلية ظلّت مستمرة في تأدية دورها في تدريس القرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف وعلومه، طيلة العهد العثماني، وقد ساعدها في ذلك كثرة أوقافها، وكذلك حرصت العوائل المقدسية الشهيرة على تقديم الخدمة لها، خاصة عائلة آل أبي اللطف، والتي انحصرت وظائف المدرسة فيها طيلة العهد العثماني.

3 - المدرسة الخاتونية (755هـ/1354م)

تقع بين باب الحديد وباب القطّانين، غربي الحرم في القدس الشريف، وفتها امرأة، وهي أغال خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين الغازانية عام 755هـ/ 1354م⁽²⁾.

اهتمّت المدرسة بتدريس العلوم الدينية، كالقرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، والفقهاء الشافعي، تولى الإمامة والمشيخة فيها الشيخ خليل، وأخوه الشيخ فيض الله ابنا صنع الله الخالدي⁽³⁾. أما مشيخة المدرسة فقد تولّاها الشيخ نور الدين أفندي باش خطيب المسجد الأقصى، وأخوه بدر الدين، وذلك بعد صدور قرار الحكم الشرعي بتوليها؛ بسبب تنازل الشيخ عليّ العففي عن المشيخة باختياره ورضاه، وذلك عام

(1) س 244، ح 3، 1175هـ / 1761م؛ عبد الجليل حسن عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ودورها في الحركة الفكرية، (عمان، 1981)، ج 2، ص 97.

(2) الحنبلي، المصدر السابق، ج 2، ص 36؛ كرد علي، المصدر السابق، ج 6، ص 118.

(3) س 207، ح 4، 1124هـ / 1712م، ص 203؛ سلامة النعيمات، الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن عشر من خلال سجلات المحكمة الشرعية، دراسات في مصادر تاريخ العرب الحديث، أبحاث الندوة التأسيسية لدراسة مصادر تاريخ العرب الحديث، جامعة آل البيت، (الفرق، 1998)، ص 97.



1145هـ/1732م، وتولّى الشيخ عزّ الدين الجماعيّ، وأولاد عبد الحقّ الجماعيّ، وظائف متعدّدة في المدرسة، فضلاً عن المشيخة، فقد تولّوا، أيضاً، النظارة، وقراءة الحديث النبويّ الشريف، ووظيفة الكناسة عام 1146هـ/1733م⁽¹⁾.

4 - المدرسة الجوهرية (844هـ/1420م)

سُمّيَت بهذا الاسم؛ نسبةً إلى منشئها الأمير صفّي الدين جوهر القناقابيّ الخازندار، في عهد السلطان المملوكيّ الظاهر سيف الدين جقمق، تقع إلى الغرب من المسجد الأقصى قرب باب الحديد⁽²⁾.

عُنيَت المدرسة بتدريس عديدٍ من الموضوعات، مثل العلوم الشرعية، وعلوم اللُّغة العربية، تدريس القرآن الكريم، وتفسير الحديث النبويّ الشريف وعلومه، الفقه والنحو، ويظهر هذا واضحاً، من خلال عديدٍ من الشيوخ والعلماء البارزين، الذين تولّوا مشيختها، والتدريس والعمل بها⁽³⁾.

5 - المدرسة البلدية (782هـ/1380م)

سُمّيَت بالمدرسة البلدية؛ نسبةً لواقفها الأمير سيف الدين منكلي بغا بن عبد الله الأحمدي الشهير بالبلديّ، تقع إلى الشمال من باب السكينة، وهو الباب الملاصق لباب السلسلة، أحد أبواب الحرم القدسيّ الغربيّ⁽⁴⁾، ومنذ تأسيسها، وطيلة العهد العثمانيّ، اختصّت المدرسة بتدريس القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف، والفقه على المذهب

(1) س 225، ح 3، 1145هـ/1732م، ص 199؛ س 266، ح 2، 1146هـ/1733م، ص 189 - 190.

(2) العارف، المصدر السابق، ص 254؛ المدني، المصدر السابق، ص 342 - 343.

(3) صالحية، المصدر السابق، ص 100؛ اليعقوب، المصدر السابق، ص 342.

(4) الحنبليّ، المصدر السابق، ج 2، ص 35.

الشافعي⁽¹⁾، وفي عام 1104هـ/1692م، قَدِمَ إلى بيت المقدس الشيخ محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي، مفتي الشافعية، ومن كبار العلماء والأعيان ((فتلقاه أهلها بالتعظيم، ومزيد القبول والتكريم، وسكن بها في المدرسة البلدية، بجوار المسجد الأقصى))⁽²⁾.

في عام 1110هـ/1698م قام الشيخ الخليلي شيخ المدرسة، والمتولي على أوقافها بإجراء ترميم شامل على مبنى المدرسة، ثم قام بترميمها مرةً أخرى عام 1133هـ/1721م⁽³⁾.

كان لهذا الإعمار والترميم للمدرسة، الدَّورُ الفعَّالُ في أن تستعيد المدرسة نشاطها واستمراريتها في إعطاء الدروس في التفسير، الحديث، الفقه، والوعظ، وكان للشيخ الخليلي الأثر المهمُّ في ذلك، حيث شغَلَ عدَّةَ وظائف في المدرسة، فقد تولَّى مشيخة المدرسة والتدريس، وشغل وظيفة متولي أوقافها، وناظرها، حتى وفاته عام 1147هـ/1734م حيث دفن هناك⁽⁴⁾. تولَّى محمد الصالح العمل في المدرسة البلدية بعد وفاة والده الشيخ محمد الخليلي، واستمرَّ بتدريس القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف⁽⁵⁾.

المكتبات

شكلت مدينة القدس محورًا رئيسًا لعملية التبادل الثقافي مع المناطق المجاورة وغيرها، وقد ساعد على ذلك وجود الحرم القدسي الشريف فيها، وكذلك وجود عددٍ كبيرٍ من

(1) س، ح، 3، 1045هـ/1635م، ص 111؛ صالحية، المصدر السابق، ص 93؛ يعقوب، المصدر السابق، ص 225 - 226.

(2) الحسيني، المصدر السابق، ص 72، 147؛ العسلي، معاهد العلم....، ص 156.

(3) س 199، ح 1، 1099هـ/1697م، ص 48؛ كامل جميل العسلي، «معلومات جديدة عن مدارس القدس الإسلامية مستخلصة من سجلات المحكمة الشرعية»، المجلة العربية للثقافة، العدد (1)، السنة (2)، (تونس، 1982)، ص 122.

(4) أحمد سامح الخالدي، أهل العلم بين مصر وفلسطين، المطبعة العصرية، (القدس، د.ت)، ص 35؛ العارف، المصدر السابق، ص 251.

(5) كرد علي، المصدر السابق، ح 6، ص 117؛ الدباغ، المصدر السابق، ج 1، ص 278.



المؤسسة التعليمية، فضلاً عما كان يُقدّم للقادمين إلى القدس من تسهيلات، كالطعام، والشراب، وأماكن الإقامة⁽¹⁾.

نظراً لأهمية الكتب في نشر العلم من جهة، ولصعوبة الحصول عليها؛ لندرتها، وارتفاع تكاليفها من جهة أخرى، فقد تنافس أهل الخير، والواقفون على إنشاء المكتبات، وفتحها أمام طلبة العلم، وأوقفوا عليها الأوقاف؛ للصرّف عليها، وإدامتها بقصد نشر الثقافة، وتزويد الدراسين بكل ما يحتاجون إليه من مؤلفات⁽²⁾.

وكان وقف المكتبات قد انتشر في العالم الإسلامي، منذ العصور الإسلامية الأولى، وتنوع الوقف على الكتب، فشمل مكتبات بأكملها، ووقف الكتب على المدارس، وكان هناك نوع آخر من الوقف، تمثل في وقف كتب المتوفين على أهل العلم، وعلى من يخلفه بعد وفاته؛ الأمر الذي كان له الأثر الواضح في تعدد المكتبات، وتنوع مناهلها، حيث أسهمت في ترك آثار واضحة في الازدهار الثقافي والعلمي الذي شهده العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة.

زار العلماء القدس الشريف إثر عودتهم من مكة المكرمة، بعد أداء فريضة الحج لزيارة الحرم القدسي الشريف الذي يشهد إليه الرحال، بينما كان بعضهم الآخر لا يحضر لمجرد الزيارة، وإنما لتلقي العلم من فقيه، وتفسير، وحديث نبويّ وعلومه، من علماء الحرم القدسي الشريف⁽³⁾، الذي حظي بمكتبات كثيرة عامّة وخاصّة، تلك التي شيدها السلاطين، والملوك، والأمراء الموسرون، حيث احتوت هذه المكتبات على خزائن كثيرة

(1) يعقوب، المصدر السابق، ص 372.

(2) إبراهيم بن محمد الزيني، «الوقف وأثره في تشييد الحضارة الإسلامية»، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، (مكتبة الملك عبد العزيز، المدينة المنورة، 1992)، ص 607.

(3) يعقوب، المصدر السابق، ص 273.

مُفهرسةٍ حسب موضوعها، وقد أوقفوا لها كثيرًا من الأموال⁽¹⁾.

1 - المكتبات العامة

عند الحديث عن المكتبات العامّة في القدس الشريف، لا بدّ من ذكر مكتبة المسجد الأقصى المبارك، ومكتبة مسجد قبة الصخرة المشرفة، فقد حوّت هاتان المكتبتان نُسخًا من القرآن الكريم وكتب التفسير، والفقه، والحديث النبويّ الشريف وعلومه⁽²⁾، ومن أهمّ ما حوّته هو عدّة نُسخٍ من القرآن الكريم التي أوقفها السلاطين، والملوك، والحكّام، وعلماء الدين المسلمين على المسجدين: الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة؛ تقرُّبًا إلى الله تعالى، وكان من أبرزها ذلك المصحفُ الذي كتبه السلطان أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف المرينيّ ملك المغرب⁽³⁾، بخطّ يده، ووقفه على المسجد الأقصى المبارك، وكذلك أهدى الوزير العثمانيّ سنان باشا مُصحفَيْن، أحدهما إلى مسجد قبة الصخرة المشرفة، والآخر إلى المسجد الأقصى المبارك، وذلك سنة 1060هـ/1650م. وحوّت تلك المكتبات على عدد كبيرٍ من الكُتب في مختلف فنون المعرفة، مثل الحديث الشريف وعلومه، علم الفلك، الحساب، علوم الدين، اللغة العربية، والتاريخ⁽⁴⁾.

(1) عيسى إسكندر، «خزائن الكتب القديمة»، مجلّة المجمع العلميّ العربيّ، العدد(5)، (دمشق، 1923)، ص16.

(2) العسلي، معاهد العلم...، ص369 - 370؛ عبد الجليل حسن عبد المهدي، الحركة الفكرية في ظلّ المسجد الأقصى، في العصرين: الأيوبيّ والمملوكيّ، (مطبعة الأقصى، عمان، 1980)، ص274 - 286.

(3) مولاي عثمان سلطان المغرب: هو السلطان أبو سعيد عثمان ابن السلطان أبي العباس أحمد ابن السلطان أبي سالم إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن عليّ الحسن عليّ بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحقّ المرينيّ الفاسي، ملك المغرب وصاحب فاس، قام على سلطنة فاس وما ولاها، حوالي 23 سنة وثلاثة أشهر، قتله وزيره عبد العزيز اللبانيّ سنة (823هـ/1420م)، وأقام مكانه ولده. ينظر: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عليّ المقرئ السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زياد، سعيد عبد الفتاح عاشور، ط2، (القاهرة، 1956)، ج4، ق، ص545 - 546.

(4) س143، ح45، 1060هـ/1650م، ص58؛ العسلي، معاهد العلم...، ص376.



2 - المكتبات الخاصّة

تتمثّل في المكتبات التي كانت للأعيان، وكبار العلماء من أهل القدس، وقد حوّت على كتب في مختلف العلوم مثل العلوم الدينية، الفلسفة، الفلك، الرياضيات، الطبّ، التاريخ، وعلوم اللغة العربية، وغير ذلك من العلوم الأخرى، إذ زخرت القدس بعددٍ من المكتبات التي أوفقت على طلبه العلم، الأمر الذي كان له الأثر الكبير في أن تستمرّ في دورها الثقافي والعلمي، خلال مدّة الحكم العثماني، ومن هذه المكتبات.

أ - المكتبة الخالدية

مؤسّس هذه المكتبة هو رئيس كُتاب محكمة القدس الشرعية، ونائب قاضي القدس الشيخ محمد صنع الله الخالدي، ترك كُتبًا كثيرة، بلغ عددها (564) كتابًا ومخطوطًا، أوقفها على نفسه، وعلى ذريته من الذكور، ثمّ تؤول إلى طلبه العلم في مسجد قبة الصخرة المشرفة، وذلك سنة 1133هـ/ 1720م⁽¹⁾.

إنّ المجموعة الضخمة من الكتب والمخطوطات، التي حوّتها المكتبة الخالدية، كانت قد جُمعت من مصادر مختلفة، اشتملت على مجموعة من الكتب القيّمة والمخطوطات النادرة المهداة من الشيوخ والعلماء إلى أبناء عائلة الخالدي، إلّا أنّ القسم الأكبر من هذه الكتب كان قد جمعها أفراد عائلة الخالدي؛ إذ كان معظم أبناء هذه العائلة موظفين حكوميين، وقضاة شرعيين، ومدّرسين في الدولة العثمانية، فقد جمعوا المخطوطات؛ ما أدّى إلى تطوّر الحركة العلمية، وإن الحرص البالغ والوعي العالي لدى أبناء هذه العائلة قد مكّنهم من اختيار أفضل المخطوطات من حيث ندرتها، وقد فعلوا ذلك عندما اتصلوا بطلبة الجامع الأزهر وعلمائه القادمين من كل أنحاء العالم الإسلامي، فقاموا باستنساخ

(1) أحمد سامح الخالدي، المكتبة الخالدية في القدس، 1720 - 2001م، ط1، (بيروت، 2002)، ص2.

هذه المخطوطات وحفظوها في مكتبتهم في بيت المقدس⁽¹⁾.

وفرت المكتبة الخالدية مصادر المعرفة من مصادرها المختلفة، الأمر الذي ساعد على حفظ المعلومات، وساعد في نشر العلم والمعرفة؛ لمواجهة موجات التجهيل التي كانت تتعرض لها البلاد، إذ كانت الكتب الموجودة في المكتبة الخالدية لا تقتصر على اللغة العربية فحسب، وإنما بلغات أخرى كالتركية، الفارسية، واللغات الأوروبية⁽²⁾.

إنَّ الهدف الرئيس لوقفيات الكتب هو الحفاظ عليها من الضياع، لذا فقد اهتمَّ الواقف بوضع شروط استعارة الكتب من المكتبة، وشدد على ضرورة التزام ناظر الوقف بها عند إعاره الكتاب لمن يحتاجه من العلماء، حيث يقوم ناظر الوقف بإخراج الكتاب، ويقوم الراغب بالاستعارة بمراجعة الكتاب بحضور الناظر، ثمَّ يعيده إلى المكتبة، وإذا تطلب الأمر إخراج الكتاب من المكتبة، فيقوم ناظر وقف المكتبة بأخذ رهنٍ على ألا تزيد مدة الاستعارة على شهر واحد.

ولتحقيق الفائدة من وقف المكتبة، فقد اشترط الوقف على عدم إعاره الكتب لمن لا يعيدها من أصحاب السلطة، وذوي الجاه والمال، وإنما يُعار الكتاب لمن يحتاجه من العلماء⁽³⁾.

في سنة 1139هـ/ 1726م توفِّي الشيخ محمد صنع الله الخالدي (الكبير)، وبعد وفاته كان قد رزق بمولود سُمِّي على اسم أبيه نفسه، وأطلق عليه لقب الصغير، وكان مهتمًّا وبارعًا في علوم الفقه، واللغة العربية، فقد حذا حذو والده، فوقف على نفسه، وعلى الذكور من ذريته، وإذا انقرض نسله، فإنَّها تذهب إلى العلماء في الصخرة المشرفة، كُتبه

(1) العسلي، وثائق مقدسية...، 1، ص 156 - 157؛ أحمد المرعشلي وآخرون، الموسوعة الفلسطينية، ط 1، (دمشق، 1984)، 4، ص 287 - 288.

(2) آمنه أيوب خليل، «مكتبات بيت المقدس في العهد العثماني من واقع وقفيات الكتب المنشورة من سجلات المحاكم الشرعية في القدس»، ندوة المكتبات الفلسطينية الثانية، (نابلس، 1982)، ص 18 - 19.

(3) الخالدي، المكتبة الخالدية...، ص 27؛ خليل، المصدر السابق، ص 14 - 15.



البالغة (260) مخطوطاً سنة 1201هـ/ 1786م⁽¹⁾، كما قام الشيخ حسين بن محمد بن موسى الخالدي بوقف كتبه على المكتبة الخالدية وعلما المسلمين، إذ كانت عديداً من الكتب والرسائل، ومنها غاية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتصدير وتعجيز قصيدة بانة سعاد لكعب بن زهير في مدح الرسول⁽²⁾.

أما الشيخ محمد بن أبي الطيب التافلاتي الذي وُلِدَ بالمغرب (1135هـ/ 1722م)، وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنين، ودرَسَ بالجامع الأزهر، ثمَّ قَدِمَ إلى بيت المقدس، وعاش فيها عشرين عاماً يُدرِّسُ في المسجد الأقصى التفسير، والحديث النبوي الشريف، وتولَّى وظيفة الكتابة في محكمتها الشرعية، فقد ترك بعد وفاته سنة 1191هـ/ 1777م مكتبة ضخمة في أكثر من ثمانين مؤلفاً في مختلف مجالات المعرفة، وقد ضَمَّتْ هذه الكتب إلى المكتبة الخالدية⁽³⁾.

ب - مكتبة محمد الخليلي

هو الشيخ محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي، تقيّ الشافعية، وأحد كبار علماء القدس الشريف، وأعيانها، في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، كان يُعطي الدروس في المسجد الأقصى، وأوّل من عمِلَ على تكوين أوّل مكتبة خاصّة في القدس الشريف، حيث كوّنَ لنفسه مكتبة ضخمة عندما قدم إلى القدس سنة 1104هـ/ 1692م، وسكن في المدرسة البلدية، وأخذ يعطي الدروس فيها، وفي الحرم

(1) س 267، ح 1، 1210هـ/ 1786م، ص 152؛ مناع، المصدر السابق، ص 20 - 41؛ الحسيني، المصدر السابق، ص 291.

(2) أحمد العلمي، وفقيات المغاربة، ط 1، (عمان، 1981)، ص 82، 111، 131، 129، 125؛ المرعشلي وآخرون، المصدر السابق، ج 2، ص 244 - 245؛ الحسيني، المصدر السابق، ص 291 - 293.

(3) الخالدي، من أعيان بيت المقدس...، ص 71 - 73؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ط 3، (طهران، 1967)، م 1، ص 328.

القدسي، حيث نَظَمَ الشعرَ الدينيَّ بلغة بسيطة، وجمع الفتاوى الكبرى في مجلدين، والصغرى في مجلد واحد⁽¹⁾.

حَوَتْ المكتبة على كُتُبٍ عَدَّةٍ في الفقه، الحديث الشريف، التفسير، الفرائض، التصوف، القراءات، النحو، المعاني، اللغة، المنطق، الأدب والطب، فضلاً عن مجاميع فيها رسائل متعددة في علوم شتى أوقفها الشيخ محمد الخليلي على نفسه مدة حياته، ثم على أولاده وأحفاده ما تناسلوا، فإذا انقرضوا فعلى أقرب عصائبِ الواقف ما تناسلوا، فإذا انقرضوا فعلى الزاوية المحمدية في صحن الصخرة المشرفة، وعلى الفقهاء الشافعية⁽²⁾.

إنَّ الوعي الذي كان يتمتع به الشيخ الخليلي، وتمثّل في خوفه على ضياع هذا التراث النفيس؛ بانتقاله من المدينة المقدسة، إذ بدأ في عهده الاتجار بالكتب بأبخس الأثمان، وإنه أراد من إبقاء مكتبته بالقدس الشريف أن يكون المثل والقُدوة لأهالي القدس في التنافس على تحصيل العلوم والكتب، وهو مجالهم الحقيقي لأئمتهم من بلاد مقدسة، وإنَّ الكتب التي وضعها الشيخ محمد الخليلي في مكتبته كان قد حصل عليها من كسبه، وإنه كان يشتريها بالإنصاف أي إنه يُقدَّرُ ثمنها حسب السعر في حينه، ويدفع فيها ثمنًا مثل ثمن مثيلاتها، حتى لو عُرض عليه الكتاب بسعر أرخص، فلم يكن فيها كتاب مغصوب، أو مسروق، أو مغبون صاحبه⁽³⁾.

بلغ عدد الكتب الموقوفة في مكتبة الشيخ محمد الخليلي، عند وقفه إيّاها ما يقارب (650) كتابًا، فيها أكثر من مئتي مخطوط، بينما بلغ عددها (7000) كتابٍ من بينها خمسمائة مخطوط، وذلك في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ويرجع السبب في ذلك إلى أنَّ عديدًا من العلماء قد أقدموا في أوقات لاحقة إلى إيداع ما لديهم أو بحوزتهم من الكتب

(1) الحسيني، المصدر السابق، ص 145، 147.

(2) العسلي، معاهد العلم...، ص 88؛ النعيمات، المصدر السابق، ص 73.

(3) خليل، المصدر السابق، ص 20؛ الخالدي، المكتبة الخالدية...، ص 31 - 32.



أو المخطوطات في مكتبة الشيخ الخليلي، على شكل وَقْفٍ أو هِبَةٍ، وهذا ما فعله الشيخ أحمد الصلاحي الشاذلي عندما أوقف كتابه ((شرح العمدة في حديث المصطفى لابن رفيق))، وكذلك مُفتي الحنفية بالقدس الشيخ محمد بن محمد بن أبي الطيب التافلاتي المغربي بأن أوقف بعد وفاته مكتبة ضخمة تضم كتباً ورسائل في مجالات مختلفة في المعرفة والعلوم⁽¹⁾.

شدّد الشيخ محمد الخليلي على أنّ الكتب يجب ألا تُباع، ولا توهب، ولا تُرهن، ولا تُهدى، ولا تُستبدل، ووضع شروطاً عدّة لإعارة الكتب من مكتبته منها: عدم جمع أكثر من إعارة للشخص الواحد، وألا تُعار الكتب إلا لمن عُرِفَ عنه بالصلاح، ولا يُسمح بالإعارة لمن عُرِفَ عنه التقصير في الحفاظ على الكتب، وأن تُعاد الكتب عند الانتهاء منها، لضمان الاستفادة منها لأكثر عدد من طلبة العلم، وأن تُطبّق شروط الإعارة على الجميع، دون استثناء أو محاباة، وذكر في وقفيته أنّه على مَنْ يتولّى أمر هذه الكتب، أو يستعير منها أن يتقّي الله، ولا يتساهل في شيء من شروط وقفها، ولا يخرج الكتب خارج المكتبة إلا لضرورة التجليد والترميم⁽²⁾.

ج - مكتبة أحمد بن محمد بن يحيى الشهير بالمؤقت

أسّسها الشيخ أحمد بن محمد بن يحيى المؤقت، وهو مغربي الأصل من مراکش، مفتي الحنفية بالقدس الشريف والإمام بالمسجد الأقصى المبارك، أقام عديداً من المحاورات والمناقشات مع عدد كبير من الشيوخ في الفقه، والتصوّف، وعلوم الحديث الشريف،

(1) مروان عبد الحافظ أبو الرّبع، أوقف القدس وأثرها على التنمية الاقتصادية، وأثر الاحتلال اليهودي عليها، ط1، (الدار العشمانية، عمان، 2005)، ص133؛ أحمد حسين عبد الجبوري، القدس في العهد العثماني (1516 - 1640)، دراسة سياسية - عسكرية - إدارية - اقتصادية - اجتماعية - ثقافية، (دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2011)، ج2، ص396 - 397.

(2) محمود الدسوقي، «أعيان بيت القدس في القرن الثاني عشر الهجري، الشيخ محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي»، مجلة الثقافة، العدد(194)، السنة (4)، (القاهرة، 1942)، ص1012 - 1013.

وغيرها من العلوم الدينية⁽¹⁾.

جمع الشيخ أحمد المؤقت خزانة كتب نفيسة، جعلها وقفًا وصدقةً جارية ينتفع بها طلبة العلم، في بيت المقدس، حيث حوت مكتبته على أعداد كبيرة من الكتب في مختلف فنون المعرفة، خاصة كتب علم الفلك، والرياضيات، وعلم الميقات، والتي تدخل في صلب عمله في تحديد أوقات الصلاة، أوقف مكتبته سنة 1181هـ / 1768م⁽²⁾.

د - مكتبة الشيخ محمد بن بدير البديري

هو الشيخ محمد بن بدير بن محمد بن محمود، المعروف بابن حبش المقدسي، ولد بالقدس سنة 1160م / 1747م، قدم به والده إلى مصر، وهو في السابعة من عمره لطلب العلم، حيث مكث هناك (30) عامًا، قضى منها عشرين عامًا في تحصيل العلم في الجامع الأزهر الشريف وغيره من دور العلم، إذ درس فقه المذاهب الأربعة، وحين عاد من مصر تولى التدريس والإرشاد في المسجد الأقصى المبارك، توفي بالقدس سنة 1220هـ / 1805م⁽³⁾.

كان للشيخ البديري الريادة بين علماء القدس، في نهاية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، فانتشر فضله، وذاع صيته في مختلف فنون المعرفة، فأشار إليه الشيخ حسن الحسيني بقوله: ((فضله كالشمس في رابعة النهار، والكل له مُدَعْنٌ ومُسَلِّمٌ بلا إنكار، إن رُمت الحديث والتفسير، فهو ذلك المفردُ النَّحْرِيُّ، وأما فقه المذاهب الأربعة ففي مسائله المشكلة رتع، وأما علم الفلك فإنه قد ملك هو البحر في كل العلوم والمفرد في المنطق والمفهوم))⁽⁴⁾.

(1) الحسيني، المصدر السابق، ص 234؛ العارف، المصدر السابق، ص 451.

(2) أبو الربيع، المصدر السابق، ص 132؛ الجبوري، المصدر السابق، ج 2، ص 230.

(3) إسحاق موسى الحسيني، «أعيان بيت المقدس الحاج محمد بدير بن محمد بن محمود»، الحلقة الثالثة، مجلة القدس الشريف، ع (12)، (عمان، 1989)، ص 64، 67، 66.

(4) الحسيني، تراجم أهل القدس...، ص 347؛ العسلي، وثائق مقدسية...، ص 2، ص 295 - 296.



وَقَفَّ الشيخ محمد البديري سنة 1205هـ/ 1790م، مكتبته على طلبه العلم، وكانت تبحث في موضوعات مختلفة، إلا أن أغلبها في العلوم الدينية، واللغة العربية، والتصوف، إلى جانب موضوعات متفرقة في الفقه الشافعي، والعقيدة، ورسائل عديدة في شؤون الدين والأدب⁽¹⁾.

كَتَبَ الشيخ محمد بن بدير في موضوعات عدَّة، حيث أَلَفَ عددًا من الرسائل جميعها مخطوطة، وعددًا من الكتب، وكتبَ عديدًا من القصائد الشعرية الدينية الحماسية، وَقَفَّها جميعًا في مكتبته، ويُمكن إجمال بعض محتويات مكتبة البديري، ومنها⁽²⁾ :

- 1 - رسالة في مدح الرسول محمد (ﷺ) شعرًا ونثرًا.
- 2 - رسالة في أحاديث الوعيد.
- 3 - رسالة في عقيدته؛ ردًّا على من اتَّهمَه بالشعوذة والسحر.
- 4 - رسالة في الصيد بالرصاص.
- 5 - كلمات مقتبسة من أنوار الفيض السري، وآيات منزلة من أطوار التجلي شعرًا ونثرًا.
- 6 - رسالة في رفع الرأس قبل الإمام.
- 7 - رسالة مطلعة الأسرار كشافه الأستار عن غوامض الأخبار.
- 8 - مدائح نبويَّة، وصلوات محمّدية.
- 9 - رسالة الكوكب الأشرف في كشف الغطا عن كنت كنزًا لا أعرف.
- 10 - قصيدة في هزيمة نابليون في عكا.

(1) س272، ح1، 1205هـ/ 1790م، ص147 - 150؛ بشير عبد الغني بركات، القدس الشريف في العهد العثماني، ط1، (دار الفكر، القدس، 2002)، ص105 - 106.

(2) الحسيني، تراجم أهل القدس...، ص359؛ بركات، المصدر السابق، ص106 - 108؛ العسلي، وثائق مقدسية...، م2، ص308 - 318.

- 11 - رسالة عقيدة البديري.
- 12 - إجازة من محمود بن محمد الكردي الكوراني (ت 1195هـ / 1781م)، وموضوعها تربية الطالبين، وأخذ العهود على الطريقة الخلواتية.
- 13 - المنز الإلهية فيما وقع الحضرة البدرية.
- 14 - كلمات تتعلّق ببراءة السيد الكريم يوسف بن يعقوب مع تذييل على الكلمات في براءة يوسف.
- 15 - الإسعاد في تحقيق بانة سعاد.
- 16 - حلّ الصيد في جوف الفراء، وهي منظومة في التوسّل بالمخلوقين.
- 17 - رسالة كشف الحزن، وحلول المنن في أوصاف السيد الحسن، يقصد بها السيّد حسن عبد اللطيف الحسنيّ.
- 18 - رسالة سلطان البرهان في الإنابة والإيمان.

هـ - مكتبات أوقفها عددٌ من علماء القدس على طلبه العلم

قام عدد من علماء القدس، من مُفتين، ونُقباءٍ أشرافٍ، ومشايخٍ، ومُدّرّسينَ بالحرَم الشريف، في بداية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلاديّ، بوقف مكتباتهم؛ لخدمة طلبه العلم، إذ أوقفَ الشيخ محمد أمين بن محبّ الله آل غضية مكتبة تضمُّ (63) كتاباً، وكان الشيخ محمد بن عبد الرحيم اللطفيّ، قد أوقف مكتبة تضمُّ كُتُباً تناولت مختلف أنواع العلوم والمعرفة في التفسير، الحديث، الفقه، الأدب، التصوّف، التاريخ، الطّبّ، والعلوم⁽¹⁾.

يتّضح لنا، من خلال عدد المكتبات الموقوفة على طلبه العلم، أنّ بيت المقدس ظلّ

(1) س 202، ح 1، 1116هـ / 1704م، ص 375؛ س 206، ح 1، 1121 / 1709م، ص 138؛ س 224، ح 9، 1141هـ / 1728م، ص 11.



مركز إشعاع يرتاده العلماء من مختلف بلاد الأرض، حيث إن عددًا من العلماء، وأصحاب المكتبات قد تنبَّهوا لأهميَّتها، ومدى فائدتها لطلبة العلم، فعملوا على وَفِّها؛ بهدف زيادة اطلاعهم على تراث القدس من جهة، والحفاظ على هذه المكتبات من التلف والضياع من جهة أخرى، الأمر الذي ساعد على استمرارها طيلة العهد العثماني.

الخاتمة:

- شهدت القدس الشريف خلال العهد العثماني، إنشاء عديد من دُور القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتي كانت أموال الأوقاف الداعم الأساس لقيامها، واستمرار عملها لقرون عدَّة.

- تُمثِّلُ دار الحديث الهكارية أحدَ أبرزِ معاهد العلم في بيت المقدس، والتي تخرَّصت بتدريس علوم الحديث الشريف وشروحه، إلى جانب المدارس الأخرى التي اهتمَّت بهذا العلم؛ كونه المرجع الثاني بعد القرآن الكريم الذي يستند عليه المسلمون في حياتهم ومعاملاتهم.

- برز الاهتمام بدراسة الحديث النبوي الشريف وعلومه، وتدريسه، وتحفيظه، ودراسة علمائه، بشكل كبير في القدس الشريف، ولم يُخلُ مسجد، أو مدرسة، أو مكان للتعبُّد، وحتى مكتباتها من دراسته، ومراجعة كتب الصَّحاح.

- في مجال الحياة العلمية، فقد نشطت الحركة العلمية والثقافية في بيت المقدس، وبرز دُور مسجدي الأقصى المبارك، وقبة الصخرة المشرفة، كمعاهد علمية كبيرة مارست، وبشكل فعَّال في تعليم أبناء القدس، فضلًا عن وجود المدارس المتنوعة والمتخصَّصة في علومها، والتي لعبت الأوقاف دورًا كبيرًا في استمرارها؛ لتخريج عديد من العلماء الأكفَاء من أبناء العوائل المقدسية.

- بيّنت الدراسة الدَّورَ الكبير للمكتبات العامّة والخاصّة في الحياة التعليمية في بيت المقدس، ودَوَّرَها في نشر العلم والثقافة، والشروط التي وضعها واقفوها، كنظام الإعارة فيها، والذي ينمُّ عن ثقافة عالية، وإدراية، وحرصٍ في الحفاظ على ديمومتها.